المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الدراسات العليا
كلية العلوم الاجتماعية
قسم التاريخ والحضارة

المدارس

وأثرها
على الحياة العلمية في اليمن في عصر الدولة الرسولية
(٦٢٦ - ٨٥٨هـ / ١٢٢٩ - ١٤٥٤م)

رسالة أعدها
عبد العزيز بن راشد بن عبد الكريم السنيدي
لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إشراف
الدكتور / محمد بن علي مسفر [illegible]
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد في كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص لرسالة الماجستير المعنونة ب "المدارس وأثرها على الحياة العلميـة في اليمن في الدولة الرسوليـة ٦٢٦ - ٨٥٨هـ/ ١٢٢٩-١٤٥٤م"
المقدمة من المعيد عبد العزيز بن راشد السنيدي باشراف الدكتـور
محمد بن علي مسفر عسيري

— ((٥)) —

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على اشرف الانبياء و المرسلين نبينا محمد و على اله و صحبه اجمعيـن ...

و بعد :

فقد شهدت العصور الاسلامية تغيرا واضحا في طبيعة الحياة التعليمية ، عندما ظهرت مدارس التعليم في بعض البلدان الاسلامية كخراسان وما وراء النهر و فارس و العراق ، ثم انطلقت على نطاق واسع في معظم ديار المسلمين . و قد حملت هذه المدارس على عاتقها القيام بالكثير من أعباء التعليـم و متطلباته ، كما غيرت العديد من النظم التعليميـة السائدة قبل ذلك.

و كان ظهور المدارس في اليمن متأخرا عن العديد من البلدان الاسلاميـة ، فلم تظهـر فيه الا في النصف الأخير من القرن السادس الهجري ، و شهـد العصر الرسولي الازدهار الفعلي لهذه المدارس بكثرة ما أسس فيـه منهـا ، حيث شارك في ذلك — اضافـة للملوك — فئـات المجتمـع الأخرى ، بل غدا بناء المدارس و تشيدها سمة من سمات دولة بني رسول ، و مظهرا بارزا من مظاهر حضارتهـم . ولم يقتصـر الأمر على الانشاء فقط ، بل أوقف عليها هؤلاء الأموال الطائلة من كرائم أملاكهـم ، و أودعـوا فيها الكتب النفيسـة . فانتشرت المدارس على أثر ذلك في كثيـر من المـدن و القرى التابعة لبني رسول خاصة منطقـة زبيـد و تعز واب وذي جبلـة و الجند وعدن و غيرها من القرى المجـاورة .

ولقد هيئت لهذه المدارس الأماكن الخاصة ، ووفر لها المدرسين الأكفاء المجيدين ، كما خضعت لنظم مالية و تعليمية مدروسة ، فضلا

من تسهيل سبل العيش والسكن للطلاب المرتبطين بها ، فنتج عن ذلك ازدهار الحياة العلمية ، وتخريج العديد من العلماء ورجالات المجتمع البارزين الذين أثروا الحياة في شتى مناحيها في اليمن .

وتعد المدارس ظاهرة جديدة في تاريخ التعليم الاسلامي فهي لم تظهر بظهور الاسلام ، وانما تأخرت لعدة قرون ، وحري بنا أن نتتبع هذه الظاهرة في اليمن ، ونتناولها بالدراسة والبحث ، خاصة وأن انتشارها وكثرتها في هذا القطر تزامن مع قيام دولة بني رسول ، وسوف نتعرف من خلال ذلك على مصير أماكن الدراسة السابقة ، ومدى تأثير هذه النظم الجديدة عليها .

ولقد حفظت لنا هذه المدارس — سواء منها ما هو قائم يصارع الزمن ، أو ما اندرس وله وصف في المصادر — الطراز المعماري السائد في عصر بني رسول ، ومدى ارتباطه بالسابق واللاحق ، كما أنه يصور جانبا حضاريا من جوانب تاريخ هذه الدولة ، بما يضمه مبنى المدرسة من عناصر معمارية ثابتة .

ويدفعنا الى ذلك محاولة التعرف على حقيقة المدرسة الاسلامية من حيث النظم والعمران والامكانيات وغيرها ، ووجوه التشابه والاختلاف مع المدرسة الاسلامية الحديثة .

كما أن الوقوف عند المدارس ودراستها دراسة علمية انما هو بيان لعامل هام من عوامل النهضة الفكرية التي سادت بلاد اليمن في عصر دولة بني رسول ، الذي يعد بحق أزهى العصور اليمنية الاسلامية ، وذلك من حيث التقدم العلمي عموما ، والرحلات العلمية وتوافد الكثير من العلماء وطلاب العلم لهذا القطر ، اضافة الى ازدهار الكتب والمكتبات التي حفظت الكثير من التراث اليمني من الضياع والتشتت .

و في التعرف على المدارس في تلك الوقت وتقصى احوالها ايضاحا لدورها فى جميع الجوانب العلمية التى برزت فى هذا العصر كما أن فيه ايضا محاولة للتوصل الى طبيعة العلوم التى تيدور حولها الدراسة في هذه المدارس ، ومدى تأثر العلوم عموما بهذا النظام الجديد . وهل برزت على الساحة علوم جديدة ، أم انها استمرت على ما كانت عليه قبل ظهور المدارس .

و لاننسى الدور الكبير الذى لعبته المدارس اليمنية في خدمة الدولة و المجتمع بما خرّجت من رجال أكفاء خدموا دولتهم و مجتمعهم بخدمات جليلة ساهمت في رقيه و ازدهاره .

وقد تكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد ، وستة فصول و خاتمة ، اضافة لستة ملاحق ، ثم قائمة بالمصادر و المراجع فالمحتويات .

وقد تضمن التمهيد لمحة سياسية موجزة عن تاريخ الدولة الرسولية ، شمل قيام هذه الدولة ، من تعاقب عليها من الملوك مع اشارات لبعض ملامح حياتهم ، و بعض الأحداث الداخلية في دولتهم اضافة لعلاقاتهم الخارجية .

و كان الفصل الأول تحت عنوان "انشاء المدارس فى عصر الدولة الرسولية" و قد اشتمل على تعريف للفظ مدرسة و مفهومها و بداية نشأة المدارس فى اليمن و مساهمة ملوك بني رسول فى انشاء المدارس ، و كذلك مساهمة فئات المجتمع الأخرى في ذلك ثم عوامل انتشار المدارس فى هذا العصر ، و اخيرا المدارس المشهورة آنذاك سواء منها ما بقي من العصر السابق ، أو ما قام في عصر بني رسول .

و الفصل الثاني تحت عنوان "النواحي العمرانية للمدارس"، و قد ضم عناوين فرعية هى نشأة المدارس و عمرانها ، و العناصر المعمارية للمدارس الرسولية ، ثم أخيرا وصف معمارى لبعض المدارس الباقية من عصر الدولة الرسولية .

أما الفصل الثالث فهو بعنوان " امكانات و مصروفات المدارس والاهتمام بالأوقاف وشمل جوانب هي الأوقاف على المدارس و انواعها ، والاهتمام بالأوقاف على المدارس وأثر ذلك على ازدهارها ، و مصارف الوقف ، ثم العوامل المؤثرة في أوقاف المدارس ، و أخيرا الوظائف الادارية و الدينيـة والمهنية في هذه المدارس .

أما الفصل الرابع فكان بعنوان " النظام التعليمي " تضمـن بذلك الوظائف التعليميـة ، ومدة الدراسة ووقتها ، و طرق ووسائل التدريس ، ثم العلوم التي تدرس في المدارس ، و ختم بالاجازات العلمية .

وكان الفصل الخامس عن أثر المدارس على الحياة العلميـة في اليمن في العصر الرسولي ، وقد تصدرته مقدمة عن ظاهرة انتشار المدارس وأثر ذلك على مراكز العلم الأخرى ، ثم تقدم العلوم وازدهارها في هذا العصر ، ثم الاهتمام بالكتب و المكتبات ، و كذلك التقدم العلمي الذى طرأ على الكثير من المدن والقرى اليمنية ، ثم وفود العلماء ، و كذلك طلاب العلم لليمن في تلك الحقبة ، و ختم الفصل بالرحلات العلميـة التي ازدهرت في هذا العصر ، سواء منها الداخلية أو الخارجيـة .

وجاء الفصل السادس - الأخير - تحت عنوان " خريجو المدارس و دورهم في خدمة الدولة و المجتمع " ، وقد اشتمل على دور هـؤلاء الخريجين في سلك القضاء الأكبر ، و كذلك القضاء العام ، و في التدريس والتصنيف ، و كذلك امامة المساجد والدعوة و الحسبة و محاربة البدع الضالة و غير ذلك .

وفي نهاية هذه الفصول جاءت الخاتمة لتوضح أهم النتائج التي توصل اليها البحث .

أما الملاحق التي ذيلت بها هذا البحث فكانت عبارة عن ستة ملاحق ، ضمت الثلاثة الأولى منها صورا فوتوغرافية و مساقط أفقية لبعض المدارس الباقية حتى الآن ، خصت الأول منها لمدارس تعز ، و الثاني لمدارس زبيد ، أما الثالث فكان لمدارس ذي جبلة و اب ، وقد حمل

الملحق الرابع يبين طياته احصاء للمدارس التي قامت في عصر الدولة الرسولية و أماكن تواجدها ، اضافة لمؤسسي هذه المدارس . وكان الملحق الخامس عبارة عن ثلاث خرائط احداها لمواقع الأماكن التي انتشرت فيها المدارس في اليمن ، و الثانية توضح نفوذ بني رسول في أقصى امتداد لدولتهم ، أما الثالثة فهي خريطة طبيعية لليمن أما الملحق السادس فهو عبارة عن مقتطفات من الوقفية الغسانية لأجزاء من وثائق بعض المدارس ، اضافة لنص من وقفية المدرسة الدعابية

و قد تلي الملاحق قائمة ببيت المصادر و المراجع التي اعتمد عليها في هذا البحث ، و أخيرا فهرس لمحتويات الرسالة .

هذا ملخص عن هذه الرسالة ، نسأل العلي القدير التوفيق و السداد . و الحمد لله اولا و اخرا .

المقدمة

((المقدمــــة))

الحمد لله القائل في محكم التنزيل " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ " وأصلى وأسلم على الهادى البشير الذى أرسل رحمة للعالمين نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

تظل الحضارة الإسلامية علما شامخا ينظر إليها بعين الإعجاب والإكبار ، وذلك من حيث الظهور والبروز ، والمبادئ والقيم الأساسية ، فضلا عن الشمول والاحتواء والاستيعاب لكل الحضارات الإنسانية ، ولا غرو فهي القائمة على أسس أنزلها العليم الحكيم الذى بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير .

ومما أفرزته لنا هذه الحضارة الكم الهائل من التراث الفكرى ، الذى أبدع فيه المسلمون ومنحوه من ذواتهم وقدراتهم الكثير ، سواء في العلوم التطبيقية البحتة ،أو العلوم الإنسانية . وقد شهدت العصور الإسلامية تغيرا واضحا في طبيعة الحياة التعليمية ، عندما ظهرت مدارس التعليم في بعض البلدان الإسلامية كخراسان وما وراء النهر وفارس والعراق ، ثم انطلقت على نطاق واسع في معظم ديار المسلمين . وقد حملت هذه المدارس على عاتقها القيام بالكثير من أعباء التعليم ومتطلباته ، كما غيرت العديد من النظم التعليمية السائدة قبل ذلك .

ومن هذا المنطلق فقد جاء اختيارى لموضوع " المدارس وأثرها على الحياة العلمية في اليمن في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦–٨٥٨ هـ/ ١٢٢٩–١٤٥٤ م) " .

وكان ظهور المدارس في اليمن متأخرا عن العديد من البلدان الإسلامية ، فلم تظهر فيه إلا في النصف الأخير من القرن السادس

2008/11/04 18:56

الهجرى، وشهد العصر الرسولي الازدهار الفعلي لهذه المدارس بكثرة ما أسس فيه منها ، حيث شارك في ذلك — إضافة للملوك — فئات المجتمع الأخرى ، بل غدا بناء المدارس وتشييدها سمة من سمات دولة بني رسول ، ومظهرا بارزا من مظاهر حضارتهم . ولم يقتصر الأمر على الإنشاء فقط ، بل أوقف عليها هؤلاء الأموال الطائلة من كرائم أملاكهم ، وأودعوا فيها الكتب النفيسة . فانتشرت المدارس على أثر ذلك في كثير من المدن والقرى التابعة لبني رسول خاصة منطقة زبيد وتعز وإبّ وذى جِبْلَة والجَنَد وعدن وغيرها من القرى المجاورة .

ولقد هُيئت لهذه المدارس الأماكن الخاصة ، ووفر لها المدرسون الأكفاء المجيدون ،كما خضعت لنظم مالية وتعليمية مدروسة ، فضلا عن تسهيل سُبل العيش والسكن للطلاب المرتبطين بها ، فنتج عن ذلك ازدهار الحياة العلمية ، وتخريج العديد من العلماء ورجالات المجتمع البارزين الذين أثروا الحياة في شتى صنوفها في اليمن .

إن تتبع هذه الأمور وإلقاء الضوء عليها جدير بالدراسة والتحقيق ، وقد يضاعف من أهمية دراستها أنها جزء من التاريخ اليمني الذى مازال بحاجة إلى مزيد من الدراسة والعناية والبحث ، فرغم ظهور دراسات وأبحاث عالجت بعض فترات هذا التاريخ ، إلا أنها لم تُغطِ فترات كثيرة منه ، ويأتي على رأسها موضوع الرسالة . ولعل السبب يعود في ذلك إلى عدم الاعتناء بنشر مصادره الأصلية ، فضلا من إخفاء البعض ما لديهم من مقتنيات تاريخيـة خوفا عليها من الضياع .

ومن الأمور الواضحة أن معظم جهود الباحثين عموما انصبت على التاريخ السياسي بشكل عام ، أما الجانب الحضارى من تاريخنا المجيد فلم يجد العناية المطلوبة بالقدر السابق ، وربما يعود سبب ذلك إلى وفرة المادة العلمية في التاريخ السياسي الذى ركز عليه غالبا المؤرخون القدامى ، فجاءت المادة العلمية للنواحي الحضارية في أهم المصادر

قليلة . لذا فإن توجيه الجهد من الباحثين المحدثين إلى هذا الجانب من التاريخ أمر بالغ الأهمية لكي يسد النقص في تاريخنا العريق .

وتُعدّ المدارس ظاهرة جديدة في تاريخ التعليم الإسلامي ، فهي لم تظهر بظهور الإسلام ، وإنّما تأخرت لعدة قرون ، وحرى بنا أن نتتبع هذه الظاهرة في اليمن ، ونتناولها بالدراسة والبحث، خاصة وأن انتشارها وكثرتها في هذا القطر تزامن مع قيام دولة بني رسول ، وسوف نتعرف من خلال ذلك على مصير أماكن الدراسة السابقة ، ومدى تأثير هذه النظم الجديدة عليها .

ولقد حفظت لنا هذه المدارس — سواء منها ما هو قائم يصارع الزمن ، أو ما اندرس وله وصف في المصادر — الطراز المعمارى السائد في عصر بني رسول ، ومدى ارتباطه بالسابق واللاحق ، كما أنه يصور جانبا حضاريا من جوانب تاريخ هذه الدولة ، بما يضمه مبنى المدرسة من عناصر معمارية ثابتة .

كما يدفعنا إلى ذلك محاولة التعرف على حقيقة المدرسة الإسلامية من حيث النظم والعمران والإمكانيات وغيرها ، ووجوه التشابه والاختلاف مع المدرسة الإسلامية الحديثة .

كما أن الوقوف عند المدارس ودراستها دراسة علمية إنما هو بيان لعامل هام من عوامل النهضة الفكرية التى سادت بلاد اليمن في عصر دولة بني رسول، الذى يعد بحق أزهى العصور اليمنية الإسلامية، وذلك من حيث التقدم العلمي عموما ، والرحلات العلمية ، وتوافد الكثير من العلماء وطلاب العلم لهذا القطر ، إضافة إلى ازدهار الكتب والمكتبات التى حفظت الكثير من التراث اليمني من الضياع والتشتت .

كما أن في التعرف على المدارس في ذلك الوقت وتقصي أحوالها إيضاحا لدورها في جميع الجوانب العلمية التى برزت في هذا العصر ،

كما أن فيه أيضا محاولة للتوصل إلى طبيعة العلوم التى تدور حولها الدراسة في هذه المدارس ، ومدى تأثر العلوم عموما بهذا النظام الجديد . وهل برزت على الساحة علوم جديدة ، أم أنها استمرت على ما كانت عليه قبل ظهور المدارس .

ولا ننسى الدور الكبير الذى لعبته المدارس اليمنية في خدمة الدولة والمجتمع بما خرّجت من رجال أكفاء خدموا دولتهم ومجتمعهم بخدمات جليلة ساهمت في رقيه وازدهاره .

هذا ما سوف نتعرف عليه - بمشيئة الله - من خلال هذا البحث ، الذى تكون - بالإضافة لهذه المقدمة - من تمهيد، وستة فصول، وخاتمة ، إضافة لستة ملاحق ، ثم قائمة بالمصادر والمراجع .

وقد تضمن التمهيد لمحة سياسية موجزة عن تاريخ الدولة الرسولية، شمل قيام هذه الدولة ، ومن تعاقب عليها من الملوك ، مع إشارات لبعض ملامح حياتهم ، وبعض الأحداث الداخلية في دولتهم،إضافة لعلاقاتهم الخارجية .

وكان الفصل الأول تحت عنوان " إنشاء المدارس في عصر الدولة الرسولية " ، وقد استفتحته بتعريف للفظ مدرسة ومفهومها ، وأتبعته بمحاولة للتوصل إلى بداية نشأة المدارس في اليمن ، ثم تعرضت لمساهمة ملوك بني رسول في إنشاء المدارس،وكذلك مساهمة فئات المجتمع الأخرى في ذلك ، بعدها حاولت إلقاء الضوء على عوامل انتشار المدارس في هذا العصر ، وأنهيت هذا الفصل بذكر المدارس المشهورة آنذاك، سواء منها ما بقي من العصر السابق،أو ما قام في عصر بني رسول ، بينت من خلال ذلك مواقعها ومؤسسيها ، وذكر ما حدث لها من تجديد أو ترميم ، وأشهر من درّس بها من علماء العصر .

ثم أتى الفصل الثاني تحت عنوان " النواحي العمرانية للمدارس"، وقد ضم عناوين فرعية هي نشأة المدارس وعمرانها ، والعناصر المعمارية للمدارس الرسولية ، ثم أخيرا وصف معماري لبعض المدارس الباقية من عصر الدولة الرسولية .

وجاء الفصل الثالث بعنوان " إمكانات ومصروفات المدارس"، وشمل جوانب هي الأوقاف على المدارس وأنواعها ، والاهتمام بالأوقاف على المدارس وأثر ذلك على ازدهارها ، ومصارف الوقف ، ثم العوامل المؤثرة في أوقاف المدارس ، وأخيرا الوظائف الإدارية والدينية والمهنية في هذه المدارس . ونُحب أن نوضح أن المدارس كانت في اليمن زمن الدراسة تعتمد في دخلها أساسا على الأوقاف ، لذا فلا غرابة أن خصصنا الأوقاف بالحديث بصفتها المصدر المالي الذى يُموّل تلك المدارس على الدوام .

أما الفصل الرابع فكان بعنوان " النظام التعليمي " فضم بذلك الوظائف التعليمية ، ومدة الدراسة ووقتها ، وطرق ووسائل التدريس، ثم العلوم التى تدرس في المدارس ، وخُتِم بالإجازات العلمية .

وكان الفصل الخامس عن أثر المدارس على الحياة العلمية في اليمن في العصر الرسولي ، وقد تصدرته مقدمة عن ظاهرة انتشار المدارس وأثر ذلك على مراكز العلم الأخرى ، بعدها تعرضت لما صاحب العلوم من تقدم وازدهار في هذا العصر ، كما وضحت فيه الاهتمام بالكتب والمكتبات ، وكذلك التقدم العلمي الذى طرأ على الكثير من المدن والقرى اليمنية ، بعدها تناولت ظاهرة وفود العلماء ، وكذلك طلاب العلم لليمن في تلك الحقبة ، وختمت الفصل بالرحلات العلمية التى ازدهرت في هذا العصر، سواء منها الداخلية، أو الخارجية .

وجاء الفصل السادس - الأخير - تحت عنوان "خريجو المدارس ودورهم في خدمة الدولة والمجتمع" ، وقد بيّنت من خلاله دور هؤلاء الخريجين في سلك القضاء الأكبر، وكذلك القضاء العام، وفي التدريس، والتصنيف، وكذلك إمامة المساجد والدعوة والحسبة ومحاربة البدع الضالة وغير ذلك .

وفي نهاية هذه الفصول جاءت الخاتمة لتوضح أهم النتائج التي توصل إليها البحث خلال رحلته عبر فصوله السابقة .

أما الملاحق التى ذيلت بها هذا البحث فكانت عبارة عن ستة ملاحق ، ضمت الثلاثة الأولى منها صورا فوتغرافية ومساقط أفقية لبعض المدارس الباقية حتى الآن ، خصصت الأول منها لمدارس تعز ، والثاني لمدارس زبيد ، أما الثالث فكان لمدارس ذى جِبْلة وإبّ . وقد حمل الملحق الرابع بين طياته إحصاءً للمدارس التى قامت في عصر الدولة الرسولية وأماكن تواجدها ، إضافة لمؤسسي هذه المدارس. وكان الملحق الخامس عبارة عن ثلاث خرائط إحداها لمواقع الأماكن التي انتشرت فيها المدارس في اليمن ، والثانية توضح نفوذ بني رسول في أقصى امتداد لدولتهم ، أما الثالثة فهي خريطة طبيعية لليمن . أما الملحق السادس فهو عبارة عن مقتطفات من الوقفية الغسانية لأجزاء من وثائق بعض المدارس ، إضافة لنصوص من وقفية المدرسة الدعاسية .

وقد تلي الملاحق قائمة بيّنتُ المصادر والمراجع التى أُعتمد عليها في هذا البحث ، وأخيرا فهرس لمحتويات الرسالة .

ولعلي أوضح بعض الأمور المتعلقة بالمنهج الذى سرت عليه أثناء كتابة هذا البحث ، فما هو جدير بالبيان أن الدراسة اقتصرت على

2008/11/04 18:57

المناطق التابعة لبني رسول في إقليم اليمن ، وهو المقصود بلفظ اليمن، عندما يرد بهذا البحث ، وإلا فإن هذا القطر يمتد إلى مناطق أوسع ، أهمها المناطق التابعة لنفوذ الزيدية .

ونظرا لأن هذا البحث يخص التعليم فقد كثرت أسماء العلماء والفقهاء في هذه الفترة ، ولذا اكتفيت بذكر صفة العالم ، كالفقيه أو المحدث أو المقرئ أو المؤرخ أو الأديب أو غير ذلك ، مع ذكر سنة وفاته في المتن ، وذلك لعدم الإطالة ، ولأننا سوف نتعرف على كثير من ملامح شخصياتهم خلال هذا البحث، سواء في التدريس، أو التصنيف، أو غير ذلك، فضلا عن كوني قد عقدت فصلا عن أشهر الخريجين، وعلى هذا فلم يكن هناك داع لإيراد تراجم لهؤلاء العلماء . أما العلماء وطلاب العلم من غير بلاد اليمن ، أو من اليمنيين الذين عاشوا باليمن قبل فترة الدراسة فقد رأيت أنه من الواجب التعريف بهم عند ورود أسمائهم.

وحيث أن المصادر عادة لا تأبه بالأمور الحضارية — كما سبق وأن أشرنا — فقد اجتهدت في استقراء النصوص، وكشف غوامضها ، وتحليل محتوياتها حتى تمكنت من التوصل إلى بعض الأنظمة، وطرق التعليم، وغير ذلك من المعلومات .

وحيث أنه لا توجد نصوص تشير إلى أسماء الخريجين من المدارس، وذكر أسمائهم ، فقد عمدت إلى التعرف على هؤلاء من خلال من دَرَسوا عليهم ، فإن كانوا مدرسين اعتبرت هؤلاء من خريجي المدارس .

وقد واجهتني بعض الصعوبات في سبيل إنجاز هذا البحث أذكر منها ، أن معظم المصادر الهامة في الموضوع لا تزال مخطوطة ، وهذا ما أتعبني كثيرا في الحصول عليها من أماكن وجودها ، فطفقت لأجل

ذلك معظم مكتبات الجامعات، وكذلك المكتبات العامة في المملكة العربية السعودية ، ورحلت إلى مصر واليمن واطلعت على مكتبات كثيرة . ومن هذه المخطوطات ما هو رديء الخط مما يكلف جهدا مضنيا في سبيل الوصول لبعض المعلومات .

وبالنسبة للنواحي العمرانية والمالية في هذه المدارس فقد انعدمت في معظم المصادر، وأتت مقتضبة في أخرى ، مما جعلني اعتمد على الوقفية الغسانية فقط، وعلى بعض المراجع الحديثة، والملاحظات الشخصية. وهذا ينطبق أيضا على كثير من النواحى التنظيمية في هذه المدارس، والتى حاولت التوصل إليها من خلال تراجم بعض المدرسين .

وكان الاعتماد في كتابة هذا البحث عن مصادر ومراجع عديدة منها ما هو مخطوط ، ومنها ما هو مطبوع، وسوف نتناول أهمها بشيء من التوضيح .

وتُعد الوقفية الغسانية أهم مصدر في هذا البحث ، ومكسب كبير له ، فهي بمثابة مجموعة وثائق وقفية لبعض المدارس والمساجد وغيرها ، تتناول كل واحدة منها مؤسس المدرسة وتخطيطها ، ومهام مرافقها ، والأراضي الموقوفة عليها ، والوظائف المرتبة فيها ، ومهام الموظفين ، وطرق صرف الرواتب وجميع دخل المدرسة ، والناظر على المدرسة ، وتختم عادة بالشهود على ذلك . وقد استفدت من هذه الوقفية في معظم الفصول استفادة جديدة ، خصوصا ما يتعلق بالعمارة ، وكذلك إمكانات ومصروفات المدارس ، التي تفردت بذكرها هذه الوقفية دون غيرها من المصادر، فكانت خير معين لكتابة هذا الفصل بالأخص. وهناك وقفية أخرى لم تخل من فائدة ، وهي الوقفية الخاصة بالمدرسة الدَّعَّاسيَّة لا سيما ما يتعلق بهذه المدرسة .

ولقد رجعت إلى عدد من الكتب المخطوطة التي استفاد البحث منها كثيرا ، ويأتي في مقدمتها كتاب " السلوك في طبقات العلماء والملوك " للجندى (ت بعد سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م) ، وهو من أهم كتب التواريخ اليمنية ، فقد تضمن تراجم الكثير من العلماء والفقهاء وغيرهم ، وقد اعتمد في معظم المعلومات على زياراته الشخصية التي قام بها بين مدن وقرى اليمن ، كما كان يتحرى في نقل المعلومات ، ولا يعتمد على الرواة إلا قليلا . وكان هذا الكتاب مرجعا أساسيا لمن أتى بعده من المؤرخين . وقد أفادنا في الكثير من المعلومات عن مؤسسي المدارس ، وأماكن وجودها ، ومعرفة العديد من العلماء ، والعلوم والكتب المتداولة بين الطلاب ، كما تعرفنا من خلال كتابه على ما صاحب بعض المدن والقرى من التطور العلمي ، وغير ذلك من المعلومات الأخرى .

يأتي بعده في الأهمية بعض مصنفات المؤرخ الخَزْرَجي (ت ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م) المخطوطة ، خاصة السفر الضخم الذى أعده لتراجم العلماء والملوك والأمراء والأعيان ، وقد حمل هذا الكتاب مسميين ، الجزء الأول منه باسم طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان أهل اليمن ، والثاني العقد الفاخر الحسن في طبقات أعيان أهل اليمن ، وقد ركز خلالهما على تراجم العلماء والفقهاء . وقد نقل معظم تراجم الفترة الأولى عن المؤرخ الجندى ، إلا أنه أعطانا معلومات قيمة جديدة في الفترة اللاحقة ، وهي تشابه ما أمدنا الجندى بها في كتابه السابق ، إلا أنه زاد عليه بالترجمة للنساء اللاتي اشتهرت في هذا العصر بإنشاء بعض المدارس ، وتشجيع الحياة العلمية في اليمن . كما استفدت من كتابي الخزرجي " الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن في الإسلام " و " العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك " خصوصا ما يتعلق بالنواحي السياسية والتعرف على بعض المدارس .

وقد استفدت من كتاب " العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية " للملك الأفضل بن الملك المجاهد الرسولي (ت ٧٧٨ هـ/ ١٣٧٧م) الذى خصصه للتراجم اليمنية ، وقد أفادنا بمعلومات قيمة تختلف في بعض الأحيان عن ما سبق من مصادر ، خاصة وأن مصنف هذا

الكتاب هو أحد ملوك هذه الدولة ، وهو العارف بالكثير من أحوالها .

وعلى الرغم من أن كتاب " تحفة الزمن في تاريخ اليمن " للأهدل (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) يُعدّ اختصارا لكتاب الجندى السابق ، إلا أن ما أتى به من معلومات في الفترة اللاحقة خصوصا بعد فترة المؤرخ الخزرجي ، تُعد معلومات جديدة ومفيدة عن الفترة الباقية من عصر بني رسول .

وكان لتاريخ الشعبي (من أعلام آخر المائة الثامنة) دور في معرفة بعض المدارس ، الموجودة في عصر بني رسول ، ومعرفة بعض العلماء المدرسين .

أما عن المصادر المطبوعة ، فقد استفدت من مصادر عدة سواء من مؤلفات أهل اليمن أو غيرهم . ولعل ما أفادني كثيرا في هذا البحث كتاب " طبقات صلحاء اليمن " للمؤرخ البريهي (من علماء القرن التاسع الهجرى) وقد خصصه لتراجم العلماء والفقهاء في اليمن في القرن التاسع، مع تراجم في بعض الأحيان لعلماء من القرن الثامن ، وقد تناول فيه العلماء على حسب مناطقهم، وختم الكتاب بذكر العلماء الوافدين لليمن في تلك الفترة . وقد زودنا ببعض المعلومات عن مدارس جديدة أثناء ترجمته لحياة بعض المدرسين ، كما أطلعنا على بعض العلوم المدروسة والكتب المتداولة آنذاك ، ومما يزيد في أهميته أنه عرفنا على المعلومات الخاصة بالفترة التى أعقبت الخزرجي ، إضافة لما أعطانا من معلومات وفيرة عن العلماء الوافدين لليمن ، وما أسدوه للحياة العلمية من جهود ، مع ذكر من تولى منهم التدريس في بعض المدارس .

وكان لكتاب " العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية " للخزرجي (٨١٢هـ/١٤٠٩م) الذى خصصه لتاريخ الدولة الرسولية ، بعض الفوائد لهذا البحث ، فبالإضافة لمعرفة الكثير من النواحي السياسية، فقد أمدنا

ببعض المعلومات عن بعض العلماء والشخصيات من خلال ما ذيّل به كل سنة من وفيات. كما عرّفنا على تاريخ بناء بعض المدارس وما زودت به من الوظائف والأوقاف، خصوصا مدارس الملوك والأمراء والحاشية.

ولم يخلُ كتاب "تاريخ وُصَاب" المسمى "الاعتبار في ذكر التواريخ والأخبار" للمؤرخ الحُبَيْشي (ت ٧٨٢هـ/١٣٨٠م) من فائدة لهذا البحث فقد جعله المؤلف على قسمين، القسم الأول: تاريخ لمنطقة وُصَاب، والثاني: تراجم لعلماء هذا الاقليم، وقد أفادنا ببعض المعلومات عن هؤلاء العلماء، وما دَرَسوه من علوم وكتب، إضافة لرحلات طلاب العلم إلى العلماء والمشايخ من هذا الأقليم واليه.

كما كان لتاريخ ابن عبدالمجيد (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٣م) "بهجة الزمن في تاريخ اليمن" دور في معرفة بعض النواحي السياسية لملوك بني رسول، وما أسسوه من مدارس.

أما "تاريخ ثغر عدن" لبامخرمة (ت ٩٤٧هـ/١٥٤٠م) والذى خصص القسم الثاني منه تراجم للملوك والعلماء والأعيان من أهل عدن والوافدين إليها، فقد أفاد في إضافة معلومات جديدة خاصة ما يتعلق ببعض الكتب المتداولة، كما أنه عرّف ببعض العلماء الوافدين.

ولم يكن كتاب "بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد" لابن الديبع (ت ٩٤٤هـ/١٥٣٧م) بالبعيد عن البحث، فقد عَرّفنا على بعض المدارس التى أحدثت في عصر بني رسول، خصوصا ما أتى منها بعد وفاة الجندى والخزرجي.

هذا بالنسبة للمؤرخين اليمنيين. أما فيما يتعلق باستفادة البحث من كتابات المؤرخين غير اليمنيين، فقد كانت أيضا كبيرة، فالسخاوى

المتوفى سنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) أورد لنا – مثلا – في كتابه "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" معلومات قيمة لكثير من علماء اليمن في تلك الفـــترة خاصة منها ما اعتمد فيه على كتب يمنية تُعدّ الآن في عدد المفقـــودات، كما عرفنا على الكثير من العلماء الوافدين لليمن. كما أن كتاب "العقـــد الثمين في تاريخ البلد الأمين" للفاسي المتوفى سنة (٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)، كان من الكتب التى أعطت البحث معلومات جديدة، خصوصا ما يتعلـــق بالعلماء وطلاب العلم الوافدين من مكة المكرمة، ومن ذهب من أبنـــاء اليمن إلى مكة طلبا للعلـــم.

أما ما يتعلق بكتابات المحدثين فلم تخل من فائدة لهـــذا البحث، ومن أهمها كتاب القاضي إسماعيل بن علي الأكوع "المـــدارس الإسلامية في اليمن" الذى تعرض لجميع المدارس اليمنية بالذكر، ولمواقعها بالتحديد، ولمدرسيها بالتراجم، وشمل ذلك المدارس اليمنية منذ نشأتهـا حتى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى (*)، وكان هذا الكتاب مساعدا فـــي معرفة الكثير من المدارس وأماكن وجودها، إضافة لتحديد مواقعها بالنسبـــة للخارطة اليمنيـــة. كما أفدت من مؤلفات عبدالله بن محمد الحبشي خاصـة منها كتاب "حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول" الذى أفاد فـــي دراسة العلوم المنتشرة، وكتاب "مصادر الفكر الإسلامي في اليمن"، الذى دلني على الكثير من مصنفات علماء اليمن وأماكن وجودها.

(*) كما سوف يتضح للقارئ فإن معظم ما كتبته في هذه الرسالـــة يعتبر جديدا بالنسبة لما ورد في كتاب الأكوع هذا، إذ أن هذا المؤلف يتعرض فقط لذكر اسم المدرسة وموقعها ومؤسسها وأشهـــر من درّس فيها، إضافة لمقدمة عن بعض أنظمة المدارس، كمـــا أن هذا الكتاب شامل لجميع المدارس اليمنية؛ ولكن مع ذلـــك يبقى هذا الكتاب بحق إنجازا كبيرا لمؤلفه لم يسبق إليه، حيث استطاع أن يُحصي جميع المدارس ومدرسيها ومعيديها ويعـــرف بأماكنها وغير ذلك.

وحيث أن معظم المصادر لا تُسلط الضوء على النواحي العمرانية فقد استفدت من مرجعين في وصفها لبعض المدارس الباقيـة، وهمـا مصطفى شبحة في كتابه " مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فـي الجمهورية العربية اليمنيـة"، ومقال لمحمد سيف النصر تحت عنوان" نظـرة عامة إلى المدارس اليمنيـة : تخطيطاتها وعناصرها المعمارية " . إضافـة لمراجع أخرى استفدت من آرائها واستنتاجاتها حول بعض موضوعات هـذا البحث .

ومما ينبغي التأكيد عليه أن هذا البحث قد استفاد استفـادة عظيمة من بعض الصور الفتوغرافية لبعض المدارس الباقية من عصر الدولـة الرسولية، والتى كُنت قد قمت بتصويرها أثناء زيارتي العلمية لليمن، فضـلا عن أن مشاهدتي الشخصية أثناء تلك الزيارة كانت ذات أثر بالغ فيما كتبته في هذا البحث .

ولا يفوتني في نهاية هذا التقديم أن أزجي عظيم شكرى وامتناني إلى
أستاذى الفاضل الدكتور/ **محمد بن علي مسفر مسيرى** المشرف على هـذا
العمل ، والذى كان له الفضل الأكبر — بعد الله سبحانه — في إنجـاز
هذا البحث ، فقد غمرني بعطفه ، وأتحفني بعلمه ، منذ أن كان موضـوع
الدراسة مجرد فكرة حتى وصل إلى ما هو عليه الآن ، فكان طوال هـذه
المدة نعم المرشد المعين باللطف واللين ، وكان يفتح قلبه لكل استفسـار
ويقدم لي المصادر والمراجع من مكتبه بدون استكبار ، فله الشكر وجزاه اللـه
خير الجزاء . كما أقدم جزيل شكرى **لأستاذى القدير الدكتور/ محمد مسفـر**
الزهراني الذى تفضل بالإشراف على هذا البحث في مرحلته الأولى .

وأجدني مدفوعاً بالشكر للصرح الذى احتضنني في دراستي هـذه،
امتى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في كلية العلـوم

2008/11/04 18:57

الاجتماعية بعميدها الدكتور / ناصر الداود ، وقسم التاريخ برئيسه الدكتور / سليمان الرحيلي ، ووكيله الدكتور / حمد الصحيباني، فلهم مني أتم الشكر وأبلغه .

ولا أنسى بالتقدير والعرفان فضيلة القاضي إسماعيل بن علي الأكوع رئيس هيئة الآثار ودور الكتب بالجمهورية العربية اليمنية الذي غمرني بتشجيعه وحرصه ، وذلل لي الكثير من العقبات أثناء رحلتي العلمية لليمن، سواء في مدينة صنعاء، أو غيرها من المدن التي قمت بزيارتها ، فضلا عما أتحفني به من مخطوطات أفادت هذا البحث فجزاه الله خير الجزاء . وبهذه المناسبة أشكر أيضا الأخ العزيز الأستاذ عبدالله بن إبراهيم الراشد ، الذي يُعدّ موضوعا عن العمارة في عصر بني رسول ، والذي رافقني في رحلتي المذكورة ، وأفادني في بعض الجوانب التي تخص الآثار والعمارة .

كما أشكر أيضا كل من قدم لي خدمة يسرت لي إنجاز هذا العمل وأخص بالذكر أستاذي الدكتور / محمد خليفة حسن الأستاذ بجامعة القاهرة ، وزملائي الأكارم : الأستاذ / محمد بن إبراهيم أبا الخيل ، والأستاذ / إبراهيم بن محمد الخضر ، والأستاذ / تركي بن صالح الحصيدان ، وجميع من قدم لي تشجيعا أو أدنى معونة .

وفي الختام أسأل الكريم المنان أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه ، وأن يجعله في موازين أعمالنا يوم القيامة ، أنه القادر على ذلك ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد

لمحة عن تاريخ
الدولة الرسولية في اليمن

قامت الدولة الرَّسُولية في بلاد اليمن بعد انتهاء الحكم الأيُّوبي سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م(١) . وقد اُخْتُلِفَ في أصل حكام هذه الدولة ،

---

(١) ظهر الحكم الأيوبي في اليمن في شوال سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤م، عندما أرسل السلطان الأيوبي صلاح الدين يوسف بن أيُّوب أخاه شمس الدولة تُورَان شاه إلى اليمن لتأديب عبد النبي بن مهدى حاكم زَبِيْد الذى قطع الخطبة للعباسيين . وتوجه تُورَان شاه إلى اليمن مارا بمكة المكرمة ، فوصل إلى زَبِيْد حيث تم له الاستيلاء عليها بعد حروب مع ابن مهدى ، الذى تم أسره من قبل توران شاه ، ثم سار توران شاه إلى عَدَن ، فقضى على دولة بني زُرَيْع ثم عاد إلى زبيد ، وملك قلعة تعز ثم التَّعْكُر والجَنَد وغيرها من المعاقل والحصون ، وساس اليمن بالعدل والإحسان ، وأعاد لها العمار بعد الخراب . وفي سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٥م غادر توران شاه اليمن متوجها إلى مصر بعد أن أناب عنه نواباً في حكم المدن اليمنية . الا أن صلاح الدين خاف على ضياع اليمن بسبب اختلاف نواب أخيه ، فأرسل إليها أخاه طُغْتكين سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م ، الذى أعاد استقرار البلاد - كما سيأتي - ، ثم خلفه ابنه اسماعيل ، وبعده الناصر بن طُغْتُكين ، وأخيرا المسعود يوسف بن الملك الكامل الذى استمر حتى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م ، حيث توجه للحجاز وأناب عنه في الحكم باليمن نور الدين عمر بن على بن رسول ، الذى استقل في حكم البلاد اليمنية .

(ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٢٢-١٢٣ دار الكتاب العربي - بيروت . ط الرابعة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ، أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ص ٢١٥ — ٢٢٠ ط. الرابعة ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م ، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض) .

فثمة من ينسبهم إلى جَبَلَة بن الأَيْهَم آخر ملوك الشام من بني غَسَّان القحطانيين (١) ، وهناك من استبعد نسبتهم إلى الأصل العربي (٢).

أما سبب تسميتهم ببني رَسُول فذلك نسبة إلى جدهم محمد بن هارون ، الذى لقب برسول ، نظرا لأن الخليفة العباسي كان كثيرا ما يرسله إلى مصر والشام في مناسبات عدة (٣).

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية جـ ١ ص ٢٦ ، عنى بتصحيحه وتنقيحه الشيخ محمد بسيوني عسل ، طبع ضمن مجموعة جب التذكارية ، مطبعة الهلال ، مصر ١٣٢٩هـ/١٩١١ ، ابن فهد (عزالدين عبدالعزيز بن عمر) : غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام جـ ١ ص ٥٩٥ ، تحقيق : فهيم شلتوت ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، ط . الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون " العبر وديوان المبتدأ والخبر " جـ ٥ ص ٥٧٦ ، تحقيق : خليل شحاته ، مراجعة د . سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ط . الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، المقريزى : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ص ٧٩ ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٥٥م .

وقد قام الباحث محمد علي عسيري بتحقيق هذا النسب ، وتوصل إلى أن نسبتهم إلى العرب فيها شيء من المبالغة ، وما قام به الخزرجي في سبيل ذلك ، له عدة أغراض نشدها بنو رسول ، أهمها تثبيت سلطانهم على اليمن .

(انظر : أبو الحسن الخزرجي وآثاره التاريخية ص ٤١٩ — ٤٣٠ ، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم التاريخ والحضارة ، كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) .

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٢٧ .

وقد وفد بنو رسول إلى اليمن مع الحاكم الأيوبي طُغْتكين بن أيُّوب[١]، بعد ما توجه إليها في أوائل سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م[٢]، وحازوا على مكانة لدى ملوك بني أيوب في اليمن[٣]. ولما أراد الملك المسعود يوسف بن الكامل الأيوبي[٤]

---

(١) هو أحد سلاطين بني أيوب في اليمن. لقب بالملك العزيز، كان شجاعاً أديباً عاقلاً، بعثه أخوه السلطان صلاح الدين لليمن، فدخلها أوائل سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م - كما سبق في المتن -، وسيطر على البلاد اليمنية. وكان من المهتمين بالعلوم أخذاً وتشجيعاً. اختط مدينة المَنْصُورة باليمن على بعد أميال من مدينة الجند سنة ٥٩٢هـ/١١٩٦م، وفيها توفي في شوال سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م.
(ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان جـ ٢ ص ٥٢٣-٥٢٤ تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ، تقي الدين الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين جـ ٥ ص ٦٢ - ٦٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

(٢) الخزرجي: الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن في الإسلام (مخطوط) ق ٧١ ب، نسخة مصورة بقسم المخطوطات بالمكتبة المركزية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رقم (١٠١٢٥) ميكروفلم.

(٣) محمد علي عسيري: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي ص ١٧٧، دار المدني، جده، ط. الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٤) أحد الحكام الأيوبيين في اليمن، أرسله والده إليها بعد أن ضعف البيت الأيوبي الحاكم في اليمن، وخاف من خروجها عليه، فلما وصلها المسعود قبض على الحاكم سليمان بن سعد الدين الصوفي، وتولى الحكم سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م. وبقي في البلاد حتى سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م حيث غادرها إلى مصر، إلا أنه عاد مرة ثانية سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م، فلم يُطِل المكوث هذه المرة حيث غادرها سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م وأناب عنه نور الدين عمر بن علي بن رسول. وتوفي في مكة - كما ورد في المتن - سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م. وهو آخر ملوك بني أيوب في اليمن.
(الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن ص ٨٨-٨٩، دار الكتاب الحديث، بيروت، ط. الثانية ١٩٨٤م).

الرحيل لمصر سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ، أناب نور الدين عمر بن علي بن رسول على حكم بلاد اليمن (١) ، فاستغل نور الدين عمر ذلك ، خاصة وأن المسعود توفي آنذاك بمكة المكرمة وهو في طريقه الى مصر (٢). ثم قام بتأمين الجبهة الداخلية ، مع موالاة ظاهرية لبني أيوب في مصر (٣). كما عقد صلحا مع دولة الأئمة الزيدية (٤) على عدم المعارضة ، وكذلك التصدى لأى قوى خارجية

---

(١) الفاسي : العقد الثمين جـ ٦ ص ٣٤١ ، عماد الدين إدريس بن الحسن الأنف : نُزهة الأفكار وروضة الأخبار في ذكر من قام في اليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار (مخطوط) ق ٥٢أ ، قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . رقم (٦٧١٨) ميكروفلم .

(٢) المقريزى : الذهب المسبوك ص ٧٩ .

(٣) المقريزى : نفس المصدر والصفحة ، ابن تغرى بردى : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي جـ ١ ص ٢٣٠ ، تحقيق : يوسف نجاتي ، دار الكتب المصرية ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .

(٤) دولة شيعية أسسها الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين
سنة ٢٨٤هـ/٨٩٦م في اليمن ، وجعل عاصمتها صَعْدة ، وهو أحد
أحفاد الحسين بن على بن أبي طالب ، وسميت بالزيدية ، نسبة
إلى زيد بن علي بن الحسين . وقد استقلت بحكم هذه المنطقة عن
الدولة العباسية . ومنذ نشأتها وهي في صراع مع القوى المختلفة التي
حكمت اليمن ، فتارة يمتد نفوذها ليشمل جميع المناطق الجنوبية من
الجزيرة العربية ، وتارة ينحصر في مدينة صَعْدة وما جاورها . وفي
العصر الرسولي كانت العلاقة بين هذه الدولة ودولة بني رسول
علاقة عدائية ، برز فيها الصراع المستمر ساعد عليها مبادئ هذه الدولة
وهو الخروج على الظالم وحرب الإمام له ، واعتبروا حكام الدويلات
الإسلامية في اليمن كبني رسول ، ظلمة يجب حربهم ، لذلك ظهرت
الحروب بين الطرفين منذ أول سلاطين بني رسول حتى آخرهم .
تتوقف خلال ذلك لفترات محدودة . وقد انحصر هذا الصراع في
المنطقة الواقعة شمال صنعاء إلى صعدة وهي منطقة نفوذ الزيدية .
وكانت كفة بني رسول هي الأرجح في هذا الصراع حتى ما قبل عهد
المجاهد (٧٢١-٧٦٤هـ/١٣٢١-١٣٦٢م) . أما بعد ذلك فقد
زاد نفوذ الزيدية ، وضعف نفوذ بني رسول خاصة في مناطق اليمن

2008/11/04 18:58

تهاجم بلاد اليمن[1] . وبعد أن أمن جانب المعارضة ضده ، أعلن استقلاله بحكم البلاد ، مستغلا الضعف والصراعات في البيت الأيوبي في مصر[2] ، فدعا لنفسه وأمر بالخطبة ، وضرب السكة باسمه[3] ، وذلك سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م ، وهي البداية الحقيقية للدولة الرسولية[4] . ومما ساعد نور الدين وثبت مركزه ، الاعتراف الذى حظي به من الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ / ١٢٢٦-١٢٤٢م) في بغداد بحكم اليمن[5] ، فأكسب حكمه الصفة الشرعية في ملك البلاد .

مهما يكن من أمر ، فبعد أن استقل نور الدين عمر بن على بن رسول بحكم بلاد اليمن ، قام بالقضاء على كثير من المناوئين لحكمه[6] ، ووجد كثيرا

= الأعلى ، بل لقد استغل الزيدية ضعف الدولة الرسولية ، ومدوا نفوذهم لمناطق خاضعة لبنى رسول وحاولوا الاستيلاء على عدن وزبيد وبعض مناطق من تهامة .
(محمد عبدالله ماضي : دولة اليمن الزيدية ، المجلة التاريخية المصرية - مجلد ٣ ، العدد الأول مايو ١٩٥٠م ص ١٥-٣٥ ، محمد على عسيرى : أبو الحسن الخزرجي وآثاره التاريخية ص ١٩ — ٢٢) .

(١) عماد الدين إدريس بن الحسن الأنف : نزهة الأفكار (خ) ق ٥٣ ب - ٥٤أ .

(٢) محمد عبد العال أحمد : بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما ص ٩١ - ٩٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ١ ص ٥١ ، عز الدين بن فهد : غاية المرام في أخبار سلطنة البلد الحرام جـ١ ص ٥٩٩ .

(٤) محمد على عسيرى : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة ص ١٩٦ .

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ١ ص ٥٥ ، الفاسي : العقد الثمين جـ٦ ص ٣٤٣ .

(٦) عبدالمؤمن بن على : مرآت اليمن (مخطوط ، باللغة التركية) محفوظ في مكتبة جامعة استانبول تحت رقم (ت ٦١٢٩) ص ٢٥ .

2008/11/04 18:58

من البلاد تحت رايته(١) ، وجعل عاصمة ملكه مدينة تَعِز(٢) .

وقد تطلع نور الدين لزيادة رقعة دولته ، فتوجه لبلاد الحجاز لكي يضيفها لممتلكاته ، وليبعد مكان الصراع مع الأيوبيين عن اليمن(٣) ، ودخل في سبيل ذلك في حروب مع بني أيوب منذ سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م(٤) ، وبعد عشر سنوات من هذا الصراع ، تحقق له حكم هذا الاقليم الهام بالنسبة للعالم الاسلامي ، وعيّن واليا عليه من قبله(٥) . واستمر نور الدين في حكم البلاد حتى سنة ٦٤٧هـ/١٢٣٩م حيث قتل على يد أحد مماليكه في قصر الجند(٦) ، بعد

---

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن في تاريخ اليمن ص ٨٦ - ٨٧ ، تحقيق مصطفى حجازى ، مطبعة مخيمر ، القاهرة ١٩٦٥م .

(٢) الجرافي : المقتطف من تاريخ اليمن ص ٨٩ .
تَعِز : مدينة مشهورة في سفح جبل صَبِر الشمالي ، تعرف قديما باسم العُدَيْنَة ، ويرجع تاريخ بناها إلى القرن الثالث الهجرى . وتنقسم في العصر الرسولي إلى ثلاثة أقسام هي : المَغْرَبة : ويسكنها السلطان والمماليك والحاشية وأرباب الدولة ، وعُدَيْنَة : ويسكنها الأمراء والأجناد ، والمَحَارِيب : ويسكنها عامة الناس .
(ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ص ٢٤٩ دار بيروت - بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، ابراهيم المقحفي : معجم المدن والقبائل اليمنية ص ٦٩ دار الكلمة - صنعاء ١٩٨٥م) .

(٣) محمد عبد العال أحمد : بنو رسول وبنو طاهر ص ٣٣٤ .

(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٤٩ ، عبد القادر الجزيرى : الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة جـ ١ ص ٥٩١ نشر : حمد الجاسر - دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض . ط . الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٦٨ - ٦٩ ، الجزيرى : المصدر السابق جـ ٣ ص ١٦٨٩ - ١٦٩٢ .

(٦) ابن عبد المجيد : المصدر السابق ص ٨٧ ، عماد الدين إدريس ابن الحسن الأنف : نزهة الأفكار (خ) ق ٥٤ ب .

2008/11/04 18:58

أن حكم البلاد أكثر من إحدى وعشرين سنة . وكان نور الدين مهتما بالنواحي الحضارية في اليمن ، لاسيما الناحية الثقافية ، فزيادة على طلبه العلم لنفسه [1] ، وتشجيع العلماء وطلاب العلم [2] ، فقد أسس أيضا العديد من المدارس في اليمن [3] .

وتولى الحكم بعده ، ابنه الملك المُظَفَّر يوسف ، وكان أثناء مقتل والده مقيما في سُرْدُد [4] ، فلما علم بذلك تقدم إلى زبيد [5] ، والتي حاول الاستيلاء

---

(١) الجَنَدي : السلوك في طبقات العلماء والملوك (مخطوط) ص٤٨١، نسخة مصورة بقسم المخطوطات والوثائق - جامعة الملك سعود بالرياض رقم (٣١١٠) ، الأفضل الرسولي : العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية (مخطوط) ق ٤٤ ب ، دار الكتب المصرية رقم (٣٥١) تاريخ .

(٢) الحبيشي : تاريخ وصاب (الإعتبار في التواريخ والآثار) ص٢٢١ ، تحقيق : عبدالله الحبشي - مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ط. الأولى ١٩٧٩م .

(٣) الخزرجي : العقد الفاخر الحسن في طبقات أعيان أهل اليمن (مخطوط) ق ٦٠ ب ، قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض رقم (٥٧١٣) ميكروفلم ، ابن الديبع : بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد ص ٨٢ ، تحقيق : عبدالله الحبشي - مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ١٩٧٩م .

(٤) سُرْدُد : وادٍ مشهور بين وادي مَوْر شمالا ووادي سِهام جنوبا . (اسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي ص١٤٨ حاشية رقم ١ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ومكتبة الجيل الجديد بصنعاء ، ط. الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .

(٥) زَبِيدُ : مدينة مشهورة باليمن بينها وبين صنعاء أربعون فرسخا ، اختطها محمد بن زياد والي اليمن من قِبَل الخليفة العباسي المأمون سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م . وتقع في تهامة اليمن ، ولها سور عظيم . وهي مشهورة بكثرة البساتين ووفرة المياه . واشتهرت في عهد بني رسول بازدهار الحياة العلمية فيها .
(ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى : تاريخ المستبصر ، تحقيق : أوسكار لوفغرين ، مطبعة بريل -

عليها ابن عمه أبو بكر بن الحسن بن علي بن رسول ، فحاصرها بمساعدة المماليك الذين انضموا إليه [١]. إلا أن المظفر استطاع أن يحبط هذه الثورة، وأن يقبض على هذا الثائر ويستولي على الحكم ، ويعيد الاستقرار في البلاد [٢]. وقد بلغت الدولة الرسولية في عهد المظفر ، الذى لقب بـ" تُبَّع الأكبر [٣]"، أوج قوتها ، فامتد نفوذها من ظَفَار الحَبوظِي [٤] إلى مكة المكرمة، حيث استرجعها من الأشراف الذين كانوا قد طردوا عامل الملك الرسولي منها سنة ٦٥٣ هـ /١٢٥٥م [٥]. كما ساد الهدوء والاستقرار في فترة حكمه ، ما عدا المناطق القريبة من نفوذ الزيدية ، حيث كثرت ثورات الأئمة الزيدية في المناطق الشمالية من بلاد اليمن [٦] ، وقامت لذلك حروب عظيمة ، استطاع

= لَيدن ١٩٣٦م ، طاهر العميد : بناء مدينة زبيد ، مقال بمجلة كلية الآداب بجامعة بغداد - العدد ١٣ سنة ١٩٧٠م، ص ٣٤٠— ٣٥٤) .

(١) ابن حاتم : السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن ص٢٤٧ ، تحقيق : ركس سمث ، طبع ضمن مجموعة جب التذكارية لندن ١٩٧٤م ، محمد بن إسماعيل الكبسي : اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية (مخطوط) ص ٤٨ ، معهد المخطوطات العربية -القاهرة رقم (٣٨) ميكروفلم .

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٩١ - ٩٢ ، مجهول : تاريخ الدولة الرسولية في اليمن ص ٣٤ ، تحقيق : عبدالله الحبشي ، مطبعة الكاتب العربي بدمشق ، تنفيذ دار الجيل ، صنعاء ١٤٠٥هـ — ١٩٨٤م .

(٣) الكبسي : المصدر السابق ص ٥٤ .

(٤) ظَفَارُ الحَبُوظِي : مدينة في آخر بلاد اليمن شرقا على ساحل المحيط الهندى ، وتقع في صحراء منقطعة .(ابن بطوطة :الرحلة ص٢٥٩-٢٦٢) وقد بنى هذه المدينة أحمد بن محمد الحَبُوظِي سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م (المقحفى : المعجم ص ٢٦٩) .

(٥) ابن حاتم :المصدر السابق ص٣١٧-٣٢١ ،الكبسي :المصدر السابق ص ٥١ .

(٦) عماد الدين إدريس بن الأنف :نزهة الأفكار (خ) ق ٥٥ ب .

المظفر من خلالها أن يحد من أطماعهم في ممتلكاته ، بل أنهم صالحوه على امتلاك البلاد العليا شمال صنعاء[(١)] فقط[(٢)].

وقد توفي الملك المظفر سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م ، بعد أن حكم مدة طويلة ، استمرت حوالي سبع وأربعين سنة[(٣)]. وللمظفر الكثير من الجهود العمرانية التي عملها في سبيل تقدم بلاد اليمن ، حيث أسس الكثير من المدارس والمساجد[(٤)]، كما كان مهتماً بالعلم والعلماء ، حريصاً على تقدم البلاد وازدهارها[(٥)]. وله بعض المشاركات العلمية ، فبالإضافة لطلبه العلم

---

(١) صنعاء : أحد المدن الهامة في اليمن ، منسوبة إلى جودة الصنعة التي تميّزت بها ، واسمها في القديم أزال . وقيل أنها سميت بصنعاء لحصانتها . وهي قصبة اليمن وأحسن بلادها . تقع وسط وادٍ فسيح تحيط به الجبال العالية . ولها مكانة عالية منذ القدم ولا تزال حتى الآن ، فهي عاصمة الجمهورية العربية اليمنية الآن .
(الرازي : تاريخ مدينة صنعاء ص ١٠ - ٢٨ تحقيق : حسين العمري صنعاء ، الجمهورية العربية اليمنية ، ط. الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، المقحفي : المعجم ص ٢٥٢) .

(٢) عماد الدين إدريس بن الأنف : نزهة الأفكار (خ) ق ٦٠

(٣) اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان جـ ٤ ص ٢٢٥ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط. الثانية ١٣٩٠هـ ، مؤلف مجهول : تاريخ الدولة الرسولية في اليمن ص ٤٩ .

(٤) الخزرجي : العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك (مخطوط) ص ٢٧٢ - ٢٧٣ ، طبعة ثانية مصورة عام ١٤٠١هـ /١٩٨١م بواسطة وزارة الإعلام والثقافة بالجمهورية العربية اليمنية ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ٨٤ .

(٥) الجندي : السلوك (خ) ص ١٨٨ ، ٢٠٠ ، الحبيشي : تاريخ وصاب ص ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٢١ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، القسم الثاني ص ٧٢ ، مطبعة بريل - ليدن ١٩٣٦م .

على يد الكثير من العلماء والمشايخ [١] ، فقد ظهرت له بعض المصنفات القيمة في الحديث والطب والأدب والفلك وغيرها [٢] .

وبعد وفاة الملك المظفر ، حدث نزاع على السلطة بين ابنيه الأشرف عمر والمؤيد داؤد ، ذلك أن المؤيد لما علم بوفاة والده ، وقيام أخيه الأشرف بالملك ، وكان أثناء ذلك مقيما بالشحر [٣] ، لم يرض بذلك ، وتوجه قاصدا أخاه لانتزاع الملك منه [٤] ، فوقع بينه وبين جيوش أخيه ، معارك عديدة انتهت بهزيمة المؤيد ، وأسره مع ولديه المظفر والظافر ، ووضعوا

---

(١) الجندى : السلوك (خ) ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٠٠ ، الخزرجي : العسجد المسبوك (خ) ص ٢٧٣ ، العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٢٧٧ .

(٢) من مصنفات الملك المظفر : أربعون حديثا انتزعه من كتاب الترغيب والترهيب للمنذرى ، وتيسير المطالب في تسيير الكواكب ، والمخترع في فنون الصنع - وهو في صناعة الكتاب ، وله البيان في كشف علم الطب للعيان ، والعقد النفيس في مفاكهة الجليس .
(الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٢٧٧ ، عبدالله الحبشي : حكام اليمن المؤلفون المجتهدون ص ١١٢ — ١١٤ دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط. الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) .

(٣) الشَّحْرُ : صقع على ساحل بحر الهند ، بين عدن وعمان (ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٢٧ ، دار صادر ، ودار بيروت - بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، وتسمى الآن الأسعاء (إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية عند ياقوت الحموى ص ١٦٣ حاشية رقم ١) .

(٤) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ١٠٠ ، ابن الديبع : قرة العيون بأخبار اليمن الميمون جـ ٢ ص ٥١ تحقيق وتعليق : محمد بن علي الأكوع - المطبعة السلفية ومطبعة السعادة - القاهرة .

2008/11/04 18:59

بدار الأدب في حصن تعز .[١]

وكان الملك الأشرف الأول منذ بلوغه مهتما بالعلم ، حتى بلغ درجة رفيعة فيه[٢] ، كما صنف الكثير من الكتب القيمة في علم الطب والصيدلة والفلك والزراعة والتاريخ والأنساب .[٣]

ولم تطل مدة حكم الأشرف الأول ، فقد توفي مسموما في المحرم من سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٧م[٤] ، فانفتح المجال أمام المؤيد ، الذى اتفق كبار الدولة على إخراجه من الاعتقال ،وتعيينه سلطانا على البلاد خلفاً لأخيه[٥] . وقد واجه هذا الملك الجديد ـ المؤيد ـ بعض المشاكل الداخلية في دولته ، منها بعض الثورات داخل البيت الرسولي ، كمحاولة أخيه المسعود السيطرة على الحكم ، واستيلائه ـ بالفعل ـ على بعض المناطق ، إلا أنه فشل في ذلك ،فلم يستطع الوقوف في وجه قوات أخيه المؤيد ، فاستسلم فوضع بدار الأدب بحصن تعز .[٦]

---

(١) ابن عبدالمجيد : بهجة الزمن ص ١٠٠ - ١٠١ ، الخزرجي :العسجد المسبوك (خ) ص ٢٧٦ - ٢٧٨ ، العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٢٨٩ .

(٢) الأفضل الرسولي : العطايا السنية (خ) ق ٤٠ ب .

(٣) ومن هذه المصنفات : المعتمد في الأدوية المفردة ،والمغني في البيطرة ، والابدال لما علم الحال في الأدوية والعقاقير ، والجامع في الطب ، والتفاحة في علم الفلاحة ، وملح الملاحة في معرفة الفلاحة ، وطرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ، وجواهر التيجان في الأنساب ، وتحفة الآداب في التواريخ والأنساب ، والتبصرة في علم النجوم ، وكذلك كتاب الإسطرلاب .
(عبدالله الحبشي : حكام اليمن المؤلفون المجتهدون ص ١١٧-١١٩) .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون جـ ٥ ص ٥٧٧ ، عماد الدين إدريس ابن الأنف : نزهة الأفكار (خ) ق ١٠٤ أ .

(٥) ابن عبدالمجيد :المصدر السابق ص ١٠٢ ،ابن خلدون :المصدر السابق نفس الصفحة .

(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣٠٩ ، ابن الديبع : قرة العيون جـ ٢ ص ٥٨ .

كما ثار على المؤيد ، الناصر بن الأشرف الأول سنة ٧١٦ هـ/ ١٣١٦ م ، إلا أن مصير ثورته كان كمصير الثورة السابقة[(١)]. إضافة لذلك فقد ظهرت ثورات في بعض أطراف الدولة الرسولية ، ومن ذلك ثورة أمراء المِخلاف السُلَيْمَانــي[(٢)]، وثورة قبائل الجحافل والعجالم[(٣)] في منطقة لَحْج[(٤)] ، إلا أن قوات المؤيد استطاعت السيطرة على الموقف ، وإعادة الهدوء لهذه المناطق[(٥)] . أما بالنسبة لدولة الأئمة الزيدية ، فقد كانت مشغولة في بداية عهده بالمشاكل والانقسامات

---

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ١٢٩ — ١٣٠ .

(٢) المخلاف السليماني : ينسب إلى سليمان بن طَرَف الحكمي ، الـذي استقل به في أواخر حكم الدولة الزيادية (٢٠٥-٤٠٢ هـ / ٨٢٠-١٠١٠م) ويمتد هذا المخلاف من الشَّرْجة إلى حَلْي بن يعقوب ، بحيث يشمل مخلافي حَكَم وعَثَر .
(محمد أحمد العقيلي : تاريخ المخلاف السليماني ج١ ص٣٦ ، ٧١-٧٢ ، دار اليمامة - الرياض ، ط. الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .

(٣) الجَحَافِل : اشتهر منهم أربع قبائل هي : آل على وآل يحيــى والعجمان والهيائم . أما العَجَالِم : فهم بنو سالم . وتسكن هـــذه القبائل في دَثينة وأَبْيَن والمناطق المجاورة لهما .
(الملك الأشرف عمر بن يوسف الرسولي : طرفة الأصحاب في معرفـة الأنساب ص ١٤٠ — ١٤٦ ، تحقيق : ك . و . سترستين ، منشـورات المجمع العلمي العربي بدمشق ، مطبعة الترقي بدمشق ١٣٦٩ هـ/ ١٩٤٩م) .

(٤) لَحْجُ : مخلاف مشهور من مخاليف اليمن ينسب إلى لَحْج بن وائــل ابن الغوث . (ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ١٤) . ويقع في الشمال الغربي من عدن بمسافة ٢٥ ميلا . (المقحفي : المعجم ص ٣٥٥) .

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣٣٠ .

الداخلية[١]، وهناك بعض المناوشات المتقطعة ، والتي حاولوا من خلالها السيطرة على بعض المناطق شمال صنعاء ، إلا أن الملك المؤيد استطاع إحباط هذه المحاولات بحزم[٢].

وخلاصة القول، أن المؤيد استطاع أن يقضي على جميع حركات المعارضة التي واجهته[٣]. واستمر في الحكم حتى توفي سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م[٤]، بعد أن حكم حوالي ست وعشرين سنة . وقد اشتهر بإحداث الكثير من المآثر العمرانية في البلاد[٥]، كما كان محبا للعلم والعلماء مشاركا في كثير من العلوم ، وألف[٦] وجمع الكثير من الكتب النفيسة[٧].

ثم تولى الحكم بعده ابنه الملك المجاهد علي ، وكان صغير السن، حيث لم يبلغ من العمر سوى خمس عشرة سنة[٨]. وقد تميزت فترة حكمه بكثرة الاضطرابات في البلاد[٩]، واعتبر عهده بداية الضعف في الدولة الرسولية. وواجه فور توليه الحكم ثورة من جنوده ، حيث قاموا باعتقاله، وإيداعه السجن ، والإفراج

---

(١) محمد عبد العال أحمد : بنو رسول وبنو طاهر ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٢) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص ١٢٥ — ١٢٦ .

(٣) عبد المؤمن بن علي : مرآت اليمن (خ) ص ٢٦ .

(٤) ابن عبد المجيد : المصدر السابق ص ١٣٢ .

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٤٤١ .

(٦) من مصنفات المؤيد : مختصر كتاب الجمهرة في البيزرة ، وشرح طردية أبي فراس الحمداني ، إضافة لبعض النقولات في أشعار الجاهلية والمخضرمين والمولدين (الخزرجي : العسجد المسبوك (خ) ، ص ٣٣٨) .

(٧) ابن عبد المجيد : المصدر السابق ص ١٣٢ — ١٣٣ ، ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات جـ ١ ص ٤٢٨ ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر - بيروت بدون تاريخ ، اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان جـ ٤ ص ٢٦٦ .

(٨) ابن عبد المجيد : المصدر السابق ص ١٣٣ .

(٩) محمد علي عسيري : أبو الحسن الخزرجي وآثاره التاريخية ص ١١ .

عن عمه المنصور بن أيوب ، وتوليته الحكم ، ولم يرض هذا العمل والـــدة المجاهد * جهة صلاح * ، فبذلت الأموال لبعض الرجال ، وأغرتهم باعتقـال المنصور ، فنفذوا المهمة بنجاح ، وأخرجوا المجاهد ، وأعادوا إليه الحكـم مرة أخرى[١] . ومن جهة أخرى ، تفاقم نفوذ الأئمة في اليمن الأعلى ، واستطاعوا أن يسلخوا المناطق العليا من أملاك الدولة الرسولية[٢] ، مما جعل سلطان بني رسول يقتصر على المناطق السفلى وتهامة[٣] .[٤]

ولقد كانت ثورة الظاهر بن المنصور من أبرز الثورات التي قابلها الملك المجاهد خلال عهده ، إذ امتد لهيبها في البلاد ، حتى لم يبق مـن أملاكه سوى حصن تعز[٥] ، ولكن المجاهد مع ذلك تمكن في الأخير من إنهائها ، والقضاء عليها بالقاء القبض على محركها الظاهر[٦] . وبجانب ذلك واجه الملك المجاهد ثورات أخرى قام بها الأشراف ، والجنود ، والأمراء ، بل وصل الأمر أن عارضه بعض أبنائه على الحكم[٧] .

وقد تعرض الملك المجاهد للأسر من أمراء الركب المصرى ، عندما حج سنة ٧٥١هـ/١٣٥١م ، فأخذ لمصر[٨] ، وفيها قابل سلطان مصر آنـــذاك

---

(١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص١٣٥ — ١٣٦ .
(٢) ابن عبد المجيد : نفس المصدر ص ١٣٥ - ١٣٨ ، محمد يحيى الحداد : تاريخ اليمن السياسي ص٢٦٧ ، دار الهنا ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦م .
(٣) عماد الدين إدريس بن الأنف : نزهة الأفكار (خ) ق ١١٤ ب .
(٤) محمد على عسيرى : أبو الحسن الخزرجي وآثاره التاريخية ص١١ .
تِهامة : منطقة سهلية تحاذى البحر الأحمر ، سميت بذلك لشدة حرها ، وركود ريحها ، وقيل لتغير هوائها . (ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٢ ص٦٣ - ٦٤) وتمتد تِهامة اليمن من الحدود الشمالية لليمن شمالا حتى عَدَن جنوبا (إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية عند ياقوت الحموى ص٦٣ حاشية رقم ٤) .
(٥) ابن عبد المجيد : المصدر السابق ص١٤٣ .
(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ٢ ص٥٥ ، ٦١ .
(٧) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ٢ ص١٢١ - ١٢٢ ، ١٢٧ .
(٨) المقريزى : الذهب المسبوك ص١١٦ ، الجزيرى : الدرر الفرائد المنظمة جـ٢ ص١٧١٤ .

حسن بن محمد بن قلاوون (٧٤٨ - ٧٥٢هـ/١٣٤٧-١٣٥١م) ، ثم عاد إلى اليمن[١] ، بعد أن التزم بأن يدفع المقررات السنوية التي كان بنو رسول قد التزموا بإرسالها إلى مصر[٢] ، للتعبير عن الولاء والطاعة لحكام مصر[٣] . وقد استمر في مصر أكثر من عشرة أشهر ، قامت والدته خلالها بضبط البلاد حتى رجوعه.[٤]

وبعد رجوعه ، استمر في تسيير دفة الحكم في البلاد ، مكابداً المشاكل التي بدأت تنخر في جسم الدولة ، إلى أن توفي بعَدَن[٥] سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م ، ودفن بتعز[٦] .

وكان الملك المجاهد محسناً للرعية ، فقعدت البلاد في عهده على

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة جـ ١٠ ص ٢٢٩ طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والترجمة والنشر - بدون تاريخ ، الجزيرى : الدرر الفرائد المنظمة جـ ٣ ص ١٧١٤ .

(٢) ابن تغرى بردى : المصدر السابق نفس الصفحة .

(٣) محمد عبد العال أحمد : بنو رسول وبنو طاهر ص ٤٢٦ .

(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ٨٩ .

(٥) عَدَنُ : ميناء هام قرب مضيق باب المَنْدَب . قيل إن اسمها اشتق من معدن الحديد ، وقيل نسبة إلى أول رجل حُبس بها اسمه عَدَن فنسبت إليه ، وقيل اشتقاق من عاد ، وقيل نسبة إلى عَدَن بن سبأ بن يَشْجب ، وقيل غير ذلك . وهي مرسى بلاد اليمن على المحيط الهندى ، وتحيط بها الجبال من ثلاث جهات . وصفها ابن بطوطة بأنها مدينة كبيرة . (ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ١١٠ ، ابن بطوطة : الرحلة ص ٢٥١) .

(٦) الكتبي : فوات الوفيات جـ ١ ص ٤٢٩ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ١٢٣ — ١٢٤ .

2008/11/04 18:59

أحسن حال[1]. كما كان محبا للعلماء ومشفقا عليهم[2]. وله مشاركات علمية، بل عُدّ من أعلم ملوك بني رسول[3]. وصنف في بعض العلوم كالفقه والأدب والخيل وبيطرتها، إضافة لفن العمارة[4].

وخلفه في حكم اليمن ابنه الأفضل عباس، وكان أرشد أولاده وأعقلهم[5].

ومنذ بداية حكمه واجه الكثير من الاضطرابات والثورات، خاصة ثورات إخوانه التي كانت قد اشتعلت في عهد والده - كما سبق وأن أشرنا -، وثورة محمد بن ميكائيل، الذى ثار في أواخر عهد المجاهد، ورغب بالسلطة لنفسه[6]. وقد عمد الملك الأفضل أولا، إلى توحيد الصف، وسد الثغرات داخل دولته، ثم أرسل الجيوش لابن ميكائيل الذى استولى على بعض مدن تِهامة[7]. وبعد حروب عديدة بين الطرفين، استطاعت جيوش الأفضل في النهاية أن تقضي على هذه الحركة[8]. وفي عهده - أيضا - زاد نفوذ الأئمة الزيدية، مستغلين الاضطرابات التي حدثت داخل الدولة الرسولية، فاستولوا على صنعاء، وبعض الحصون القريبة منها[9]، كما ساعدوا المظفر بن المجاهد في ثورته ضد أخيه الملك الأفضل[10].

---

(١) الخزرجي : العسجد المسبوك (خ) ص ٤١٠.

(٢) الخزرجي : العسجد المسبوك (خ) ص ٤١٠، ابن الديبع: قرة العيون جـ ٢ ص ٩٤.

(٣) ابن الديبع : نفس المصدر جـ ٢ ص ٩٢.

(٤) من مصنفات الملك المجاهد : كتاب معين الفقيه، والأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل، وكتاب الخيل وصفاتها وأنواعها وبيطرتها، وكتاب الإشارة إلى العمارة، وله ديوان شعر. (بامخرمة: تاريخ ثغر عدن - القسم الثاني ص ١٥١، عبدالله الحبشي : حكام اليمن المؤلفون المجتهدون ص ١٥٣ — ١٥٥).

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ١٢٧، ابن الديبع :المصدر السابق جـ ٢ ص ٩٤.

(٦) الكبسي : اللطائف السنية (خ) ص ٥٦.

(٧) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ١٢٧، ١٣١، ١٣٤.

(٨) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ١٣٤.

(٩) محمد عبد العال أحمد : بنو رسول وبنو طاهر ص ٢١٣ — ٢١٥.

(١٠) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ١٣٤.

بل لقد وصل الأمر بالأئمة الزيدية أن حاولوا الاستيلاء على مدينة زبيد سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٦م[١]. ورغم أن الملك الأفضل لم يتقاعس عن محاربة جميع المناوئين لحكمه، واستمر بإعداد الحملات للقضاء على الفتن والثورات التي عمت البلاد، خاصة الأطراف منها، إلا أنه لم يستطع القضاء على كثير منها. واستمرت الأوضاع على ما هي عليه من التردي، حتى توفي في شعبان سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٧م[٢].

وكان الملك الأفضل مهتما بالنواحي العمرانية في دولته، فحث على البناء والتعمير[٣]. كما كان مهتما بالعلوم، مشجعا عليها[٤]، وكان عارفا بالفقه والنحو واللغة والأدب والتاريخ والأنساب والزراعة، وصنف بعض الكتب القيمة التي تدل على جودة علمه وتمكنه في كثير من العلوم[٥].

وبعد وفاته تولى السلطة ابنه الأشرف الثاني إسماعيل، ويُعَدّ أخر

---

(١) ابن الديبع: قرة العيون جـ ٢ ص ١٢٧.

(٢) محمد عبد العال أحمد: بنو رسول وبنو طاهر ص ٢١٦.

(٣) الخزرجي: العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ١٥٨ - ١٥٩.

(٤) الخزرجي: الكفاية والاعلام (خ) ق ١٦٢ ب، العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ١٥٨، ابن الديبع: قرة العيون جـ ٢ ص ١٠٤.

(٥) من مصنفاته: الألغاز الفقهية، والعطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، ونزهة العيون في تاريخ طوائف القرون، ونزهة الأبصار في اختصار كنز الأخبار، ومختصر لتاريخ ابن خلكان - وفيات الأعيان، وبغية ذوى الهمم في أنساب العرب والعجم، ونزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء، ودلائل الفضل في علم الرمل، وبغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين.
(الخزرجي: العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ١٥٨، عبدالله الحبشي: حكام اليمن المؤلفون المجتهدون ص ١٥٨ - ١٥٩).

ملوك بني رسول ذوى الإقدام والصولة والرياسة (١) . وابتدأ حكمه بهدوء تام في كثير من المناطق اليمنية ، والتي ثارت على أبيه من قبل ، وحظيت سلطته بتأييد كثير من العناصر (٢) ، الا أن ذلك لم يستمر طويلا ، حيث ثارت القبائل التهامية محاولة الاستقلال ، وبعد حروب عديدة ـ استعمل الأشرف خلالها سياسة العنف ـ استطاع أن يخمد الكثير من هذه الثورات (٣) . كما حاول الإمام الزيدى صلاح الدين محمد بن المهدى علي بن محمد (٧٧٣-٧٩٣هـ/١٣٧٣-١٣٩٣م) الاستيلاء على بعض أملاك الدولة ، فشن الكثير من الحملات على المناطق التابعة لبني رسول محاولا السيطرة عليها ، مثل عدن وتعز (٤) ، ثم توجه لمنطقة تهامة التابعة للدولة الرسولية ، فاستطاع أن يسيطر على بعض مدنها كحَرَض (٥) والمَحَالب (٦) والمَهْجَم (٧) ، بل وصل الأمر بهذا الإمام أن حاول

---

(١) الجرافي : المقتطف من تاريخ اليمن ص ٩٢ .

(٢) عبد المؤمن بن علي : مرآت اليمن (خ) ص ٢٧ ، محمد عبد العال أحمد : بنو رسول وبنو طاهر ص ٢١٧ .

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ١٦٦-١٦٨ ، محمد عبد العال أحمد : المرجع السابق ص ٢١٧ — ٢١٨ .

(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ١٨٣ ، ١٩٣ .

(٥) حَرَض : بلدة عامرة في تهامة شرق ميناء ميدى (إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية عند ياقوت الحموى ص ٩٤ حاشية رقم ١) . وينسب إلى حَرَض بن خولان بن عمرو بن مالك بن حمير ، وهو أول من نزل بـه (ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٤٣) .

(٦) المَحَالب : بلدة خاربة الآن ، وتقع جنوب وادى مَوْر ، وتبعد عن زبيد شمالا بنحو مائتي كيلو متر تقريبا . (إسماعيل الأكوع : المرجع السابق ص ٢٥٦ حاشية رقم ٣) .

(٧) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ٢٠١ .
والمَهْجَم : مدينة تهامية خاربة الآن في وادى سُرْدُد ، وقد خربت في القرن الثاني عشر للهجرة ، وهي قديمة الاختطاط ، وجدد عمارتها القائد حسين بن سلامة مولى بني زياد في حوال القرن الرابع الهجرى . (المقحفي : المعجم ص ٤٢١) .

الاستيلاء على زبيد ، فقام بمحاصرتها سنة ٧٩١ هـ/ ١٣٨٩م، إلا أن محاولتـه باءت بالفشل ، لقوة حامية المدينة وصمود أهلها في وجهـه[١] . وكان لانشغال دولة الأئمة بالمشاكل الداخلية ، بعد وفاة الإمام الناصر صلاح الديـن ، الأثر في تذبذب القوة الزيدية[٢] . كما أن بعض القبائل أعلنت ولاءها للأشرف الثاني ، ونبذت الطاعة والولاء للأئمة ، مما جعل البلاد تتهيأ للاستقـرار والهدوء الذى استمر بقية حكم هذا الملك[٣] .

وكان الأشرف الثاني محبا للعلم والعلماء[٤] ، وطلب العلم لنفسه[٥] ، كما صنف بعض المصنفات[٦] . وقد اتصف عهده بالأمن والاستقرار بـين

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ٢٠٦ — ٢٠٧ ، ابن الديبـع : قرة العيون جـ ٢ ص ١١١ .

(٢) Kamerer (M. Albert): La Mer Rouge L'Abyssinie L'Arabie Depuis L'Antiquite P. 172 . Memoires Dela Societe Royale De Geagraphie D'egypte, La Caire, 1929 .

(٣) محمد عبدالعال أحمد : بنو رسول وبنو طاهر ص ٢٢٤ — ٢٢٦ .

(٤) ابن المقرى : عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والعروض والتاريـخ والنحو والقوافي ص ١٦٤ ، مكتبة أسامة بتعز ودار الروائع ، دمشـق ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠١ .

(٥) ابن المقرى : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن الديبع : المصـدر السابق نفس الصفحة .

(٦) ومن مصنفاته : " فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفتن في أخبار مـن ملك اليمن " (كارل بروكلمان : الأدبيات اليمنية في المكتبات والمراكـز الثقافية العالمية ص ١٨٧ ترجمة صالح بن الشيخ أبو بكر - دار الحداثة - بيروت ، ط. الأولى ١٩٨٥م) . وقد نسب إليه كتاب " العسجـد المسبوك والجوهر المحبوك في أخبار الخلفاء والملوك " وكذلك " العقـود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (عبدالله الحبشي : حكام اليمـن المؤلفون المجتهدون ص ١٧٢) والواقع أنها من مؤلفات المؤرخ أبـي الحسن الخزرجي ، حيث أثبت ذلك الباحث محمد علي عسيرى ، مـن خلال منهج الكتابة والأدلة التاريخية بعد مناقشات طويلة ، وليسـت -كما يقال- من مؤلفات الملك الأشرف الثاني . (انظر : أبو الحسن الخزرجي ومؤلفاته التاريخية ص ٩٧ — ٩٨ ، ١٢٧) .

نتات المجتمع (١) .

واستمر بحكم البلاد ، حتى اشتد عليه المرض سنة ٨٠٣ هـ/١٤٠١م ، فتنازل عن الحكم لابنه الناصر أحمد (٢) . وبنهاية حكم الأشرف الثاني ، بدأ عهد الملوك الضعاف من الأسرة الرسولية (٣) .

وما أن استلم الملك الجديد أحمد مقاليد الأمور ، حتى انطلقت حركات التمرد والعصيان ضده في طول البلاد وعرضها ، فكان ذلك نذيرا بتمزق أوصال دولته (٤) ، ولذا فقد حاول القضاء عليها ، وفي سبيل ذلك استولى على بعض الحصون التي خرجت عن الطاعة (٥) . كما أدب المتمردين في بلاد المَعَازِبة (٦) ، واستولى على بعض الحصون في وُصَاب (٧) ومدينة دَثِينَة (٨) ، كما أدب والي

---

(١) عبد المؤمن بن علي : مرآة اليمن (خ) ص ٢٧ .

(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠١ .

(٣) Kamerer : Op. Cit. P. 172.

(٤) محمد عبد العال أحمد : بنو رسول وبنو طاهر ص ٢٢٧ .

(٥) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٦) ابن الديبع : نفس المصدر ص ١٠٢ .
المَعَازِبة : قبائل تسكن في المنطقة الواقعة بين وادى زبيد في الجنوب ووادى سُرْدُد في الشمال . (محمد علي عسيرى : أبو الحسن الخزرجي وآثاره التاريخية ص ١٢ - ١٣ حاشية رقم ٢) .

(٧) وُصَاب : اسم جبل يحاذى زبيد ، فيه عدة بلاد وقرى وحصون . (ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٧٨) . ويعرف بجُبْلان العركية ، ويتكون في هذا العصر من ناحيتين وُصَاب العالي ووُصَاب السافل (إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية عند ياقوت الحموى ص ٣٠٠ حاشية رقم ٣) .

(٨) مجهول : تاريخ الدولة الرسولية في اليمن ص ١٥٩ ، ١٨٠ ، ٢٠٦ ،
ابن الديبع : المصدر السابق ص ١٠٢ .
دَثِينَة : صقع معروف يقع إلى الشرق بجنوب من البيضاء وشمال شرق مِخْلاف أَبْيَن . (إسماعيل الأكوع : المرجع السابق ص ١١٦ حاشية رقم ١) .

جَازَان(١) وحَلْي(٢) بعد رفضهما الخراج . وبذلك سيطر بعضا من الوقت على البلاد .(٣) إلا أن الثورات ظهرت مرة أخرى(٤) ، فثار أهل وُصاب على الحكم ، وأغار الإمام الزيدي علي بن صلاح الدين (٧٩٣-٨٤٠هـ/١٣٩٠-١٤٣٦م) على رَدَاع(٥) ، فتصدى له الملك الناصر ، وتغلب عليه ، وقتل الكثير من أتباعه(٦). ولقد حاول حسين - أخو الملك الناصر - السيطرة على الحكم سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م مستغلا انشغال الناصر بالثورات ، وأحرز بعض النتائج الإيجابية ، ولكن الملك الناصر استطاع أن يأسره ، ويقضي على ثورته(٧). كما ثار محمد بن أبي القاسم نجاح ، محاولا الاستيلاء على الحكم ، إلا أن السلطان الناصر استطاع إحباط هذه الثورة ، وقتل هذا الثائر(٨).

---

(١) جَازَان : بلدة على ساحل البحر الأحمر من جهة صَبْيَا وأبي عَرِيش وهي حاضرة تلك الجهة . (المقحفي : المعجم ص ٧٧) .

(٢) حَلْي : من بلاد حرام بن كنانة وهو مِخْلاف وقصبته الصحارية . (الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٢٥٩ تحقيق : محمد بن علي الأكوع ، إشراف : حمد الجاسر - دار اليمامة - الرياض ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م) وهي منطقة على ساحل البحر الأحمر (إسماعيل الأكوع البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي ص ١٠٣ حاشية رقم ٢) .

(٣) مجهول : تاريخ الدولة الرسولية في اليمن ص ١٦١ ، ١٧٦ ، ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠٢ .

(٤) مجهول : المصدر السابق : ص ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٧٣ ، ويحيى بن الحسين : غاية الأماني في أخبار القطر اليماني - القسم الثاني - ص ٥٦٤ ، تحقيق : سعيد عاشور - دار الكاتب العربي - القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨ م .

(٥) رَدَاع : تسمى رَدَاع العرش ، وهي بالشرق من ذَمَار بمسافة ٥٣ كم . وقد ورد ذكرها في النقوش الحميرية . (المقحفي : المرجع السابق ص ١٧٥) .

(٦) ابن الديبع : المصدر السابق ص ١٠٣ ، قرة العيون جـ ٢ ص ١٢٢ .

(٧) مجهول :

(٨) ابن الديبع : نفس المصدر جـ ٢ ص ١٢٥ ، وبغية المستفيد ص ١٠٥ .

2008/11/04 19:00